

أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

د. المضري محمد الغالي*

المملكة المغربية

تمهيد

غني عن التأكيد، أن لكل علم من العلوم أو فن من الفنون لغته الخاصة ومصطلحاته الكاشفة عن مفاهيم ومعاني موضوعاته، وقضية تحديد المصطلحات والمفاهيم من القضايا الأساسية التي لا يصح الدخول في بحث ما دون درايتها والإحاطة بكنهها، حتى يمكن الوصول إلى نتيجة مقنعة في الموضوع محل البحث.

والنحو - كغيره من العلوم - له مصطلحاته الخاصة به، "إذ لا بد للنحو بصيرورته صناعة، من مصطلحات تكون أعلاماً على موضوعات ومعان يطلقها أصحاب الصناعة فيفهمها الدارسون من أهلها"¹.

نهدف من هذه المساهمة إلى بيان أهمية تعريف المصطلح وتجلياته في صناعة النحو باعتباره مفتاح كل علم وثماره وعنوانه البارز.

المحور الأول: حول المصطلح المعرف

1. المصطلح بين اللغة والاصطلاح

جرت عادة القوم المعاصرين بلا استثناء على التحدث عن كلمة "مصطلح" المأخوذة من

* أستاذ اللغة العربية بثانوية بومان داس التأهيلية، (المغرب).

¹ تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، من إعداد الدكتور محمد بن عمار درين، ج 2، الطبعة الأولى 2006/1427، سلسلة الرسائل الجامعية، 66، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ص 809.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مادة (ص.ل.ح.ج)، والصلح يعني الشيء المناسب والنافع. ففي المعجم الوسيط "صلح الشيء: كان نافعاً أو مناسباً، يقال هذا الشيء يصلح لك"¹، كما نفهم ما يدل على المسالمة والاتفاق، إذ يرد في لسان العرب أن "الصلح: تصالح القوم بينهم، والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو وأصلحوا واصلحوا مشددة الصاد قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد"²، أي اتفقوا وتعارفوا على وضع الشيء، ومثل هذا جاء في المعجم الوسيط: اصطلحوا على الأمر تعارفوا عليه واتفقوا، والاصطلاح - مصدرًا - هو "اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته"³.

وهو "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما، كالعوم والخصوص، أو مشاركتها في أمر، أو مشابهتها في وصف أو غيرها"⁴، وهو "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل، الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين"⁵، وهو "اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"⁶.

انطلاقاً من هذه التعاريف، ومن خلال تتبعنا لهذا اللفظ في المعاجم الاصطلاحية العربية لاحظنا عدم التفريق بين كلمتي "مصطلح" و"اصطلاح"، فقد استعمل المصطلحان وكأنهما

¹ المعجم الوسيط، من تأليف مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة، 1425هـ/2004م، مادة صلح، ص 520.

² لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، 1300هـ، مادة صلح، م2، ص 462.

³ المصطلح ومشكلات تحقيقه، للدكتور إبراهيم كايد محمود، مجلة لسان العربي، العددان: 55-56، عدد مزدوج 1424 هـ/2003م، ص 10، وينظر أيضاً "المعجم الوسيط"، مرجع سابق، ص 520.

⁴ كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، 1382هـ/1963م، الاصطلاح، ج4، ص 211.

⁵ التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، الاصطلاح، ص 34.

⁶ الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، 1419هـ/1998م، الاصطلاح، ج1، ص 129.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

مترادفان تماماً. فهذا فهمي حجازي يقول: "فالمصطلح والاصطلاح شيء واحد لا فرق بينهما، فكلاهما استخدم من قبل أهل الاختصاص للدلالة على المفاهيم العلمية لهذا التخصص أو ذاك، فسواء قلنا "اصطلاح" أو "مصطلح" فالأمر واحد"¹.

والمصطلح في اصطلاح المحدثين وتحديدهم "كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"²، وهو "مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص ما"³، وهو "اللفظ الذي يسمى مفهوماً معيناً داخل تخصص ما"⁴. والغاية منه تعيين الأشياء وتسميتها أو تعريفها وتحقيقتها.

وخلاصة تلك التعريفات عندي، هي أن الاصطلاح (المصطلح عند المعاصرين)، هو استعمال لفظ خاص لمعنى خاص في حقل معرفي خاص عند طائفة معينة من الناس.

2. مفهوم المصطلح المعرف

المصطلح المعرف هو ذلك اللفظ الذي يعبر عنه مفهوم ما، ويجلي ويظهر دلالاته، ويجعله خاصاً متميزاً عن غيره من الألفاظ، فكثيرة هي المصطلحات التي تشترك في نفس التسمية فيؤدي ذلك الاشتراك إلى حيرة وتردد لدى الدارس، لكن التعريف سرعان ما يذهب الحيرة والتردد، إذ بواسطته نستطيع الفصل بين تلك المشتركات، لأنه - التعريف - بمثابة تحديد خاص لكل مصطلح.

وعليه؛ فالمقصود بالمصطلح المعرف هو كل مصطلح قدم له الدارسون أو الباحثون

¹ المصطلح ومشكلات تحقيقه، للدكتور إبراهيم كايد محمود، مرجع سابق، ص 10.

² مقدمة في علم المصطلح للدكتور علي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1987م، ص 512.

³ المصطلح النحوي في كتاب "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، لرضي الدين الاسترلابادي: أقسام الكلم نموذجاً - إعداد الطالب امحمد اموحو، إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز حميد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب ظهر المهرز، فاس، 2011-2012م. ص 34.

⁴ نفسه، ص34.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

تعريفاً معيناً، سواء كان بالمثل، أو بالعلامة، أو بالماهية، أو غير ذلك من أنواع التعاريف، ووظيفته تكمن في كونه يسهم في ضبط وتحديد المصطلحات الغامضة تحديداً دقيقاً، وكذا فك لغز العبارات العويصة والملتبسة، لذلك فالبحث في المصطلحات المعرفة في الكتب ليس ترفاً علمياً تدفع إليه قلة الموضوعات المهيأة للدراسة، ولكنها ضرورة ملحة استدعاها افتقار دراستها من وجهة مصطلحية، وكذا ما يشكله هذا النوع من الدراسة من أهمية بالغة في حسم الخلاف حول الكثير من قضايا فهم النصوص الأدبية واللغوية على السواء.

إذن؛ فالمصطلحات المعرفة يقصد بها هنا "كل الألفاظ التي شرحت دلالتها الاصطلاحية ضرباً من الشرح، سواء كان ذلك في صورة تعريف "جامع مانع" كما يقال، أم لم يكن، فكل إضاءة لمفهوم المصطلح تسهم في تعرفه، تعد في هذا الباب تعريفاً، وكل مصطلح شرح مفهومه ضرباً من الشرح يعد أيضاً مصطلحاً معرفياً"¹.

المحور الثاني: في أهمية حد المصطلح في النحو العربي

1. أهمية تعريف المصطلح

من المعلوم أن المصطلح بطبيعته عبارة عن لفظ علمي يؤدي المعنى بدقة ووضوح، ويشكل الدعامة الأساسية في لغة العلوم لكونه يعبر عن مادتها ومحتواها، ولا تدرك معاني هاته العلوم إلا بتحليل وتفكيك مصطلحاتها إلى مجموعة من العناصر والخصائص التي من شأنها أن تقرب مدلوله، هذا إضافة إلى مراعاة الفضاء العلمي والتاريخي الذي يولد ويتنفس فيه المصطلح، ولمعرفة ذلك لابد من وضع حد له بواسطة مجموعة من الكلمات التي تتوخى شرحه وتوضيحه حتى يسهل على القارئ أو المتلقي تصوره وتمثله.

ولذلك فقضية المصطلح ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـ"مسألة التعريف"، فكل واحد منهما يدور

¹ مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، مقدمة: المعجم المفهومي للقرآن الكريم، منقول من موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية. www.stertimes.com.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

مع الآخر أينما دار وحيثما سار. بل إن قضية المصطلح لا تقتصر فقط على ما هو علمي فحسب، بل تتعداه إلى ما هو ذاتي، أي بكل ما يرتبط بهويتنا، بل بعمق ذات الأمة. فهي: تتعلق ماضياً بفهم الذات، وحاضراً بخطاب الذات، ومستقبلاً ببناء الذات، وبدون الفهم الصحيح للماضي لن نستطيع معرفة الحاضر ولن نستطيع صنع الشخصية المتميزة في المستقبل، وبدون الفهم الدقيق للمصطلحات لن نستطيع التواصل السريع، ولا البناء بإحكام¹، وكل تدقيق في المصطلح هو تدقيق في الفكر.

لذلك وجب أيضاً التدقيق في الحد أو التعريف باعتباره جوهر المصطلح، لأن المصطلح لا يفهم المراد منه إلا بالتعريف، والتعريف لا يحصل إلا في ضوء وجود المصطلح الذي لا يستقيم ويحصل إلا إذا كان مقترناً به، حيث يعمل على تدقيق معانيه وضبطها وتمييزها عن باقي المصطلحات الأخرى.

إن المصطلحات هي أساس كل علم ومفتاحه، بل إن البعض يرى "أن العلم ما هو إلا مصطلحاته"²، إذ هي السبيل إلى استكشاف خباياه واستشراق معالمه، ولذا وجب تعرفها وتحديد مدلولاتها، ومن ثم صار التعريف المبدأ الذي ينطلق منه في رحلة الكشف والاستكشاف.

لذا فإن الحدود والتعريفات عند أهل النظر هي السبيل إلى تصور ماهية العلم والتبصر فيما يطلبه طالب العلم، وهي من ثم الأساس من تحصيله ومعرفة أحواله العارضة له والغاية منه. وعليه؛ فمعرفة خبايا النحو - وسائر الفنون - يقتضي بالضرورة تحديد مصطلحاته التي تشكل دعامة وبؤرة كل العلوم، ويشكل التعريف عصبها بحيث يزيل عن المصطلح الغموض والإبهام ويقرب مفهومه من الأذهان، وهذه هي وظيفة العبارة المعرفة، "لأن في التسمية فائدة

¹ ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد خاص 4، 1409هـ/1988م، ص 12.

² فوضى المصطلحات في الكتابة العربية: الأسباب وحلول مقترحة، للدكتور صالح محمد إسماعيل، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثالث، 1424هـ/2003م، ص 117.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الاختصار" - على حد تعبير ابن يعيش - ولقد أدرك التهانوي أهمية تعريف وضبط المصطلحات في مختلف العلوم والمعارف، حيث رأى أن سبب الحاجة إلى الأساتذة في دراسة العلوم والفنون، "اشتباه المصطلحات، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به".

ولا يخفى على أي واحد منا الدور الهام الذي بذله علمائنا في تحديد معنى المصطلح والوقوف على أهميته، حيث رأوا أنه لا بد من اتفاق طائفة معينة عليه، ولا بد من استعماله في مجال معين، أو فن بعينه، حتى يكون واضح المعنى محدد الدلالة، مؤدياً الغرض المقصود منه، ولعل حرص علمائنا على توضيح غايته نابع من أهميته ودوره في ربط الصلات والتواصل بين الأمم والشعوب، كما أنه نابع من أهميته في نقل العلوم والمعرفة ونشر الثقافة وكل ما يخدم جوانب الحياة الإنسانية عامة، ونابع أيضاً من تحديد المصطلحات وتوضيح مدلولاتها والغرض منها، فالمصطلح "يلعب دوراً مهماً في ربط الصلة بين الأمم والشعوب، وفي نقل المعرفة والثقافة (التكنولوجيا) ونشر آثار الحضارة الحديثة، فضلاً عن أن من النظريات ما يُقر التوافق بين المصطلحات وأوضاع الشعوب الاجتماعية"¹. ولذلك فالمصطلح يشكل عنصراً مهماً من عناصر التواصل بين العلماء والدارسين، كما يمثل الأداة التي يجسد بها العلماء حصيلة أبحاثهم وتجاربهم.

إن مجال المصطلح لا يُحد، ودائرته لا تُغلق، وعلمه لا يتوقف، وحاجاته لا تنتهي، لأنه "مرتبط بنمو المعرفة الإنسانية واتساع دائرتها ونطاقها، فكلما جدد في حياة الإنسان اصطلاح على اسم له، فعملية الاصطلاح لا تنتهي عند حد، لأن المعرفة الإنسانية لا تتوقف"²، بل إن أهميته ترجع في تراثنا إلى بزوغ الرسالة المحمدية، وما حملته في كتاب الله العزيز من ألفاظ واستعمالات جديدة كانت تعرف عند السلف باسم الكلمات أو المصطلحات الإسلامية. ونظراً لأهميته وفوائده في بناء النهضة العلمية، وقف العرب القدماء على طرائق وضعه

¹ المصطلح ومشكلات تحقيقه، للدكتور إبراهيم كايد محمود، مرجع سابق، ص 12.

² نفسه، ص 12.

أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

وشروط صحته حتى لا يعترض عليه، ولا تصبح ثمة ضرورة للمشادة فيه، أو تجاهله من طرف طائفة معينة، فالمصطلح لا يؤدي وظيفته الدلالية إلا إذا تحددت اضطراباته وتوحدت مصطلحاته، ومن ثم يتم قبوله وشيوعه وتداوله، ويكتسب حينئذ اصطلاحيته، وهذا لا يكفي لضمان مشروعيته، بل يجب إعادة النظر فيه ومراجعتها، أو استبداله أو استحداث مصطلحات جديدة تواكب العصر، لأن المعطيات التقنية والتاريخية تتطور بتطور المصطلحات، وما أوج اللغة العربية إلى مثل هاته المصطلحات الحديثة، وعلى هذا الأساس بذل علماءنا الغيورون في العصر الحديث جهوداً مضيئة في سبيل تعزيز لغتهم بابتكار المصطلحات التي تُعبّر عن مستجدات الحياة، وكذا دعم لغتهم بكل ما تحتاج إليه حتى لا يحكم عليها بالفشل والتخلف وعدم العلمية، وطغيان القوالب اللفظية الأجنبية عليها، ولهذا الغرض أسست مجامع لغوية، ومؤسسات علمية وثقافية تُعنى بوضع المصطلحات العلمية التي تنقّر إليها اللغة العربية.

2. تجليات تعريف المصطلح في النحو العربي

إن أي علم من علوم العربية لا يخلو من مصطلحات اتفق العلماء العرب على نقلها من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي لتخصص مصطلحاتها في هذا العلم أو ذاك "فقل لفظة من معناها اللغوي لدى شعب ما إلى معنى تصطلح عليه جماعة معينة من هذا الشعب في فرع من فروع المعرفة الإنسانية هو ما يطلق عليه اسم "مصطلحات العلوم"¹؛ و"إذا كان العلم أفعالاً مفاتيحه السؤال" كما يقول الفراهيدي، أقول: "العلم أفعالٌ مفاتيحه المصطلحات" لأن المصطلحات كما جرى على لسان الخوارزمي "مفاتيح العلوم"، بها تنفتح مغاليقها وتنضح حدودها، وتُعرف مجالاتها، وتناقش مشكلاتها، بل إن المصطلحات ثمار العلوم وعنوانها البارز، فلا غرابة إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي شعار بنية كل العلوم، متى فسدت فسدت صورته واختلقت بنيته، وتبعاً لهذا فإن كل علم من العلوم يصنع من اللغة معجماً خاصاً به انطلاقاً من مصطلحاته، فالجهاز المصطلحي في كل علم من العلوم هو بمثابة لغته الصورية

¹ معجم المصطلحات العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد 4، ص 406.

التي لا تقبل أي نقاش، ومما لا شك فيه أن المفردة اللغوية قبل أن تصبح مصطلحاً محدداً في أي حقل من الحقول المعرفية تتعرض لسنة التطور شأنها في ذلك شأن جميع الكائنات الحية، إذ قد تموت تارة بالإهمال، وتحيا تارة أخرى بالتداول والاستعمال، وقد دفع بعض الباحثين اليوم إلى الاهتمام بمصطلحات العلم بجميع أنواعها متبعين في ذلك انتقال دلالتها من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي مراعين في ذلك مراحل نشأتها وتطورها، ولا يكتفون بهذا، بل يتبعون انتقال المصطلحات من حقل معرفي إلى آخر، لأن في انتقالها من مجال لآخر قد تتخذ دلالة جديدة تعبر عن المجال الذي تُستعمل فيه، "فلكل مصطلحاته على هذا الاعتبار"؛ وإذا كان حد المصطلح نابعا من إحدى دلالات المعنى المعجمي، فإن هذا الأخير عامٌ يحتمل مجموعة من الدلالات، عكس المعنى الاصطلاحي الذي يتميز بطابع الخصوصية، إذا لا بدّ في كل مصطلح من تجاوز المعنى اللغوي والخروج منه إلى معنى خاص ليكون مصطلحاً، وإلا يبقى معنىً لغوياً غير خاص بعلم، والمسوغ عادة لنقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي وجود "مناسبة بينهما"¹؛ ذلك أن "المصطلحات النحوية والصرفية وغيرها هي ألفاظ لغوية أُخرجت من معناها الأصلي إلى معنى نحوي اصطلاحى خاص بهذا العلم"². ولذلك يجب أن يحدد مجاله، وتكون الدقة خاصيته حتى لا يتيه المتعلمون في متاهات الألفاظ غير المضبوطة؛ لأن أي خلل من مدلول مصطلح من المصطلحات قد يؤثر سلباً في الدراسة التي تريد أن تصل إلى مستوى العلمية، ولعل هذا ما دفع لينتر إلى القول "إن الخلافات العلمية ترجع في قدر كبير منها إلى الخلاف حول معاني الألفاظ ودلالاتها"؛ ولذلك يجب تحديد مدلول المصطلح تحديداً دقيقاً حتى لا يقع غموض في المعنى واضطراب في أداء المدلول الصحيح للمصطلح، وقد يكون هذا الاضطراب ناتجاً عن عدم تنسيق الجهود بين المتخصصين في علم

¹ كشف اصطلاحات الفنون للتهاتوي ج 4، مرجع سابق، ص 210.

² المصطلح النحوي وأصل الدلالة (دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري)، تأليف الدكتور رياض عثمان، تحقيق وتقديم الأستاذ الدكتور حسن حمزة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ص 128.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

من العلوم، أو وجود محاولات فردية متعددة لا تأخذ بعين الاعتبار جميع ما يتعلق بالمادة المدروسة، ويجب أن نعترف بأن وضع هاته المصطلحات في علوم اللغة العربية قد عرف أكثر من مرة ارتباكاً وتشابكاً وخطأً في تحديد مفهومها أو في وضعها، ولعل هذا ما يصدق على الفكر النحوي الذي عرف بدوره جهازاً مصطلحياً حاول النحاة من خلاله معالجة نظرياتهم، وتصوراتهم في إطار دفع القواعد والتعامل مع اللغة العربية، ونظراً لأهمية هذا الجهاز المصطلحي داخل المنظومة النحوية، أثار عدة قضايا خلافية بين النحاة العرب، لأن المصطلح النحوي عرف تطوراً منذ سيبويه حتى الزمخشري، فالمصطلحات التي وضعها سيبويه تغير بعضها عند النحاة الذين جاؤوا بعده، وهذا موضوع يحتاج إلى البحث والدراسة، قال عبده الراجحي في هذا الصدد "... على أن الذي ينبغي أن نلتفت إليه أن المصطلحات التي استعملها سيبويه قد تغير بعضها عند الأجيال التالية، والذي لاشك فيه أن تتبع المصطلح النحوي منذ سيبويه موضوع جدير بالدراسة"¹.

ولا شك أن هذا التغيير في المصطلحات العلمية عامة والنحوية خاصة أمر طبيعي، لأن العلوم تتطور بتطور مصطلحاتها، فضلاً عما تخضع له - المصطلحات - من اعتبارات سياقية وتاريخية وبيئية واجتماعية، وهذا يعني أن المصطلحات وإن كانت تكتسب بالتداول، وتصدر عن فرد أو عن جماعة لتعمم، فقد يتغير مدلولها إلى مفاهيم أخرى انحرفت وانزاحت من مجال إلى آخر بسبب الاستعمال" كمصطلحات العروض المأخوذة من معظمها من تزيين الخيمة والبعير والملابس"²، وكذلك مصطلحات النحو والبلاغة، "فالمصطلح لغة خاصة يستخلص من لغة عامة يطلق لمناسبة بين اللفظ والمعنى، كالارتباط بينه وبين اللغة حقيقة أو مجازاً، أو لغير مناسبة، كإطلاق تسمية الأعلام، فكم من واحد يُدعى جميلاً أو كريماً أو صالحاً... وهو خلاف ذلك"³.

¹ دروس في المذاهب النحوية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص 35.

² المصطلح النحوي وأصل الدلالة، تأليف الدكتور رياض عثمان، مرجع سابق، ص 28.

³ المصدر نفسه، ص 28.

إن الهدف من وضع حدود للمصطلحات النحوية هو إظهار دلالتها وتمييزها عن غيرها من المصطلحات، فكثيرة هي المصطلحات التي تشترك في نفس التسمية فيؤدي ذلك الاشتراك إلى حيرة وتردد لدى الدارس، لكن الحد سرعان ما يذهب الحيرة والتردد، إذ بواسطته نستطيع الفصل بين تلك المشتركات، لأنه - الحد - بمثابة تحديد خاص لكل مصطلح.

فنحن عند سماعنا مثلاً لجملة من قبيل: "قام زيد"، نقول: "زيد" فاعل ونصمت، لا يتضح المعنى، لأن ذلك لن يفيد شيئاً للباحث الذي يريد تمثل القاعدة، ولكن إذا قلنا الفاعل "اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ذلك الفعل إليه، نحو: قام "زيد" وذهب "عمرو"¹، فإن الغاية تتحقق ويزول الغموض، ويصل الباحث إلى هدفه المتلقي في الفهم والتبيين.

وعليه؛ فالمصطلح لا يستقيم ولا يعبر عن معنى إلا إذا كان مقترناً بتعريف دقيق يضبط دلالاته ويميزه عن غيره، فنحن عندما نعرف مصطلح "الفاعل" في مجال النحو فنقول: "الفاعل كل اسم أسند إليه فعل فهو فاعل"²، وبعبارة أدق وأشمل نقول: "الفاعل اسم صريح أو مؤول، ظاهر أو مضمّر، بارز أو مستتر، أسند إليه فعل أو شبهه، مقدم عليه مبني للمعلوم، دال على من وقع منه الفعل أو اتصف به"³، بهذا التعريف الأخير مثلاً نكون قد ميزناه عن غيره من المصطلحات الأخرى، بل نكون قد ميزناه عن معناه الفلسفي، فالذي يمكننا من التمييز والفصل بين المصطلحات المعرفّة هو التعريف، وهذا يعني أن العلاقة بين المصطلح والتعريف هي علاقة تلازمية تكاملية؛ فحضور المصطلح يقتضي بالضرورة حضور التعريف.

كذلك عندما نعرف مصطلح "الفصل" مثلاً في صناعة النحو أو في علم المعاني فنقول: "هو ترك عطف جملة على غيرها بالواو"⁴، نكون قد ميزناه عن معناه العام الذي هو: "القول

¹ أسرار اللغة العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الدقي، دمشق، 1957م، ص 44.

² الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مرجع سابق، ج 3، ص 319.

³ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، للدكتور وهبة مجدي والمهندس كامل، ط 2، 1984م، ص 68.

⁴ أما الوصل فهو عكس ذلك، أي هو عطف جملة على غيرها بالواو. ينظر "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، مرجع سابق، ص 264.

أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

الواضح البين الذي يفصل به المراد عن غيره، والحاجز بين شيئين¹، وبهذا نكون أيضاً قد ميزناه عن معناه العروضي الذي هو "كل تغيير اختص بالعروض، ولم يلتزم مثله في حشو البيت"². بل نكون قد ميزناه عن معناه العلمي، ذلك أن "الفصل" قد يُعرف في مناهج البحث العلمي بأنه: "قسم من الكتاب متصل الموضوع أو الحدث، يرقم عادة، وقد يكون له عنوان"³.

إن المصطلح المعرّف يمكّننا من حصر المجال الذي نحن بصدد دراسته، ويقربنا إلى معرفة الأشياء المجهولة، من أجل ذلك كانت تعريفات النحويين لمصطلحاتهم النحوية واضحة المعالم، دقيقة الإحكام، مرسخة في الأذهان، فتعريفاتهم تنبني على العليّة، وتستند إلى أصول علمية، فالفعل عندهم مصطلح نحوي معرف، يراد به الكلمة الدالة بمادتها على معنى المصدر أي الحدث، وبصيغتها على زمان وقوع ذلك الحدث، وعلى هذا الأساس كانت تعريفات النحويين تحوّم حول هذه الدلالة على المعنى المركب من الحدث والزمن، فقد عرفه ابن الحاجب بأنه: "ما دل على معنى في نفسه مقترنا بأحد الأزمنة الثلاثة"⁴.

ومن المصطلحات المعرفة أيضاً تعريف الاسم عند الأخفش، الاسم: "ما جاز فيه نفعني وضرني"⁵، وأيضاً تعريف ابن الحاجب للفعل المتعدي واللازم "المتعدي، وغير المتعدي، فالمتعدي ما يتوقف فهمه على متعلق كـ "ضرب"، وغير المتعدي بخلافه كـ "قعد"⁶،

¹ الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مرجع سابق، ج 3، ص 337.

² وذلك كـ "مفاعن" في عروض الطويل لأنها تلزم ولا تلزم في الحشو. ومثاله قول طرفة ابن العبد (جاهلي) من بحر الطويل:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزود.

³ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 274.

⁴ شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق أحمد السيد أحمد، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ج 4، ص 5.

⁵ قال الزجاجي (337هـ) معلقاً على كلام الأخفش، يعني: ما جاز أن يخبر عنه، وإنما أراد التقريب على المبتدئ... ولم يرد التحقيق. وفساد هذا الحد بين، لأن من الأسماء ما لا يجوز الإخبار عنه، نحو: كيف وأين...، ينظر أبي القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص 48.

⁶ شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، مرجع سابق، ج 4، ص 12.

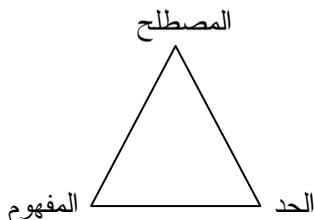
التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وكتعريف سيبويه للاسم بأنه "كزيد وفرس وحائط"، وتعريف الزمخشري للمعرفة: "المعرفة ما دل على شيء بعينه...¹" ، وكتعريفهم لعطف البيان بأنه "تابع غير صفة، يكشف عن المراد بالمتبوع كشفَ الكلمة المشهورة معنى الكلمة الغريبة كقولك: رأيت زيدا أبا عبد الله، إذا كان بالكنية أشهر عند مخاطب...²".

إن المصطلح النحوي المعرف بهذا المعنى، هي تلك الألفاظ والمفاهيم الناتجة عن اتفاق النحاة، وبذلك "يفقد لفظ المصطلح النحوي انتماءه إلى المعجم العام أو اللغة العامة، لينتمي إلى المعجم الخاص أو اللغة الخاصة"³.

ينبغي أن نلفت الانتباه إلى أن "المصطلح - قبل التواضع - غالباً ما كان لفظاً في اللغة، وكلمة لها دلالتها اللغوية، استند إليه المتفقهةُ والأصوليون والنحويون وغيرهم يوظفونه بالتواضع ليكتسب دلالة جديدة، من غير أن تسقط العلاقة بين الأصل الدلالي والأصل الاصطلاحي الجديد، ضمن مناسبة بين الأصلين"⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحد والمفهوم اللذين يخضعان للتنوع النحوي والصرفي والصوتي، وعليه، فلا يستقيم معنى أي مصطلح إلا بزوايا هذا المثلث:



¹ من قضايا المصطلح النحوي، للدكتور محمد الدحماني، مجلة ورقات مصطلحية، منشورات الكلية، سلسلة دفاتر المختبرات (26)، العدد الأول 1434هـ/2013م، ص 49.

² نفسه، ص 50.

³ مفهوم المصطلح النحوي وخصائصه، للدكتور أموحو محمد، مجلة مصطلحيات، عدد مزدوج الرابع - الخامس، 1435هـ/2013م، ص 122.

⁴ المصطلح النحوي وأصل الدلالة، تأليف الدكتور رياض عثمان، مرجع سابق، ص 29.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

فالحمد يعتبر خطوة أولى لمعرفة حقيقة الشيء، لأن "المتكلم المتخصص بعد أن يتكون لديه تصور ذهني (مفهوم) لشيء ما موجود في الواقع قد يحده أو يعرفه أولاً¹. والمصطلح يعد خطوة ثانية - باعتباره يمثل مرحلة النضج الفكري - لمعرفة المجال الذي ينتمي إليه كل مصطلح، ثم تأتي الخطوة الثالثة (المفهومية) التي تسمح بإعطاء تصور ذهني لشيء ما موجود سلفاً في الواقع. وتبقى الغاية الأساسية من حد المصطلح هو معرفة المفاهيم التي تستند إلى المصطلح وحده، فبدون معرفة المفاهيم لا يمكن أن تعرف الحدود، لأنها هي التي تميز المفاهيم من بعضها، كما أن الحدود والمصطلحات تسهم في تقعيد العلم وإرساء معالمه، "ولا شك أن المبادرة الأولى إلى تحديد الحدود ووضع المصطلحات لها أثر كبير في الأشكال التي سيتخذها الوصف والتأويل والتحديد والتقعيد، مهما كانت درجة هذه المبادرة من بساطة أو تعقيد"².

خلاصة

يمكن إجمال ما توصلنا إليه في الآتي:

- غالباً ما يستعمل لفظ "مصطلح" بمعنى "اصطلاح"، والمصطلح هو لفظ خاص يستعمل في حقل معرفي خاص وفي سياق خاص عند طائفة معينة من الناس.
- المصطلح جوهر وأساس كل علم، بل لا يمكننا تصور علم بدون مصطلح.
- قضية المصطلح ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـ "مسألة التعريف"، ذلك أنه يعبر عن معاني المصطلحات بدقة ووضوح.
- المصطلح المعرف هو ذلك المصطلح الذي قدم له النحاة تعريفاً معيناً سواء كان ذلك في صورة تعريف "جامع مانع" كما يقال أو لم يكن.

¹ المصدر نفسه، ص 174.

² النظر النحوي أصوله وجوامعه، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في اللغويات، إعداد الطالب عبد الرحمان بودراع، تحت إشراف أحمد العلوي 1997-1998م، ص 91.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

- تتجلى أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي في فك لغز العبارات الواصفة والمفاهيم الغامضة، وكذا تقريب المعاني إلى الأذهان.

وفي الأخير لا أجد أجود مما قاله عماد الدين الأصفهاني - رحمه الله - "إني رأيت أنه ما كتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العيبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر..."

لائحة المصادر والمراجع

- أسرار اللغة العربية، لأبي البركات عبد الرحمان محمد بن أبي سعيد الأنباري: تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الدقي، دمشق، 1957م.
- تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، من إعداد الدكتور محمد بن عمار درين، (سلسلة الرسائل الجامعية)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الطبعة الأولى 1427هـ/2006م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.
- دروس في المذاهب النحوية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، 1382هـ/1963م.
- لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، 1300هـ.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد 4، 1409هـ/1988م.
- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العددان 55-56 (عدد مزدوج)، 1424هـ/2003م.
- مجلة مصطلحيات، (مجلة علمية محكمة في قضايا المصطلح)، عدد مزدوج: الرابع - الخامس، محرم 1435هـ/نونبر 2013م.
- مجلة دراسات مصطلحية، (مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية)، العدد الثالث: 1424هـ - 2003م.
- مجلة ورقات مصطلحية، (مجلة يصدرها مختبر الأبحاث والدراسات المصطلحية)، منشورات الكلية، سلسلة نفاثر المختبرات (26)، العدد الأول 1434هـ/2013م.
- مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، مقدمة: المعجم المفهومي للقرآن الكريم، منقول من موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية. www.stertimes.com.
- مقدمة في علم المصطلح للدكتور علي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1987م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، للدكتور وهبة مجدي والمهندس كامل، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، (منقحة ومزودة)، 1984م.
- المعجم الوسيط، من تأليف مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة، 1425هـ/2004م.
- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، 1419هـ/1998م.
- المصطلح النحوي وأصل الدلالة (دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري)، تأليف الدكتور رياض عثمان، تحقيق وتقديم الأستاذ الدكتور حسن حمزة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م.
- المصطلح النحوي في كتاب "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، لرضي الدين الأستراباذي: - أقسام الكلم نموذجاً - إعداد الطالب امحمد امحو، إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز حميد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وآدابها، كلية الآداب ظهر المهرارز، فاس، 2011-2012م.

- النظر النحوي أصوله وجوامعه، إعداد الطالب عبد الرحمان بودراع، إشراف أحمد العلوي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في اللغويات، 1997-1998م.
- شرح كافية ابن الحاجب، لرضى الدين محمد بن الحسن الأسترايادي، تحقيق أحمد السيد أحمد، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المكتبة التوفيقية.